خواطر حول
قضية التعليم الإسلامي

بقلم
الأستاذ الدكتور محمد الغزالي*

الحمد لله الذي علّم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم والصلوة على رسوله الأكرم سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

لا شكّ في أنّ التعليم هو أهم وظيفة تشغل الإنسان، وهذه الوظيفة هي أيضاً أقدم الوظائف التي حظيت باهتمامات الإنسان منذ بدء الخليقة فهي الوسيلة العظمى لتحقيق الغايات الأسمى والمقاصد الأسنى لوجود الإنسان ولعمارة الكون، فإن الإنسان بالقوة لا يصبح إنسانا بالفعل إلا بواسطة التعلّم والتعليم، وذلك لأن التعليم وحده هو الوسيلة لإدراك المقاصد والغايات التي خلق لأجلها الإنسان وهو الطريق الوحيد لمعرفة الذات والتعبير عنها، وهو الذي يهدي السبيل

---

* رئيس تحرير مجلة البحوث الإسلامية الإسلامية العالمية الصادرة عن الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد (باكستان).

إلى معرفة الفطرة التي فطر الله تعالى عليها الإنسان والطبيعة، باكتشاف السنن السارية والنواميس النافذة في الكون والكائنات التي يتعايش معها الإنسان في هذه المعمورة، وهو الوسيلة المتاحة لتنمية المواهب وترقية الملكات التي أودعها الله تعالى في الإنسان وشرّفه بها على سائر المخلوقات، والتعليم هو الآلة المتوفرة لتسخير القوى والطاقات ولتطوير الوسائل والإمكانات الموجودة في العالم.

وكان الأنبياء والرسل أولى من غيرهم بأداء هذه الوظيفة السامية وذلك لأنهم جوهر البشر وخلاصة الإنسانية فكلّفهم الله تعالى بمهمة تعليم الناس وَبذلك نَوّهَ بِعُلوٍّ مرتبة كلّ معلّم الإنسانية. فكان أوّل الناس وأبو البشر سيدنا آدم عليه السلام هو أوّل المرسَلين وأسبق المعلّمين للإنسانية، اصطفاه الله تعالى لهذه الوظيفة النبيلة وعلّمه الله تعالى من لدنه علما بالأسماء كلها ومعنى ذلك أنه تعالى ألهمه علوم الأشياء: جواهرَها وأعراضَها، خواصَّها وآثارَها، وفضّل الله تعالى آدم وذريته بهذا الشرف على سائر خلقه حتّى على الملائكة المقرّبين ولتسجيل هذا التفضيل للأبد أمر الله تعالى الملائكة كلهم أجمعين بالسجود له تكريما له وتشريفا.

ثم أرسل الله تعالى رُسُلَه تترى، حاملين رسالة العلم والهدى ليُخرجوا الناس من الظلمات إلى النور؛ فكانت هذه النخبة من الإنسانية والزبدة من البشرية هم خير أسوة لبني آدم في جميع شعب الحياة وأهمها شعبة التعليم والتربية؛ فإن الأنبياء والرسل كانوا المصطفين

الأخيار من الناس وكانوا هم خيرَ المعلّمين لخير العلوم والمعارف، لأجل خير المقاصد والغايات وبخير الوسائل والآلات، وهذا يعني أن المعيار المطلق لتقويم التربية والتعليم هو ما يتمثل في سير الأنبياء والرسل عليهم أفضل الصلوات والتسليم.

وقد استمر تعليم الناس بواسطة الأنبياء والرسل عبر التاريخ الإنساني في كل زمان ومكان، وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ولكل قوم هاد. فما صدر من ألسنتهم وثبت في سنتهم لهو أعلى أنواع العلوم والمعارف فهي تهدف أسمى غايات التعليم والتربية. وما تجلى في سيرتهم وتحلى به سلوكهم يتجسّد فيه أرفع المقاصد وأنفع الوسائل وأصلح المناهج للتعليم والتربية للإنسانية قاطبة لا يتعداها العقل البشرى إلى قيام الساعة. لأنهم هم الذين علّموا الناس مقاصد الخلق والخليقة وربّوهم على أحسن الفضائل والمكارم ووجّهوهم وجهة يرضاها ربّهم ويضمن سعادتهم في العاجلة والآجلة وأنهم بإنجازاتهم العظيمة في تغيير الأفكار والعقليات وتزكية القلوب والنفسيات أثبتوا قدرتهم على تثقيف البشرية وإصلاحها قدرة تفوق سائر الإنجازات الوضعية في الحاضر والغابر. وهكذا صار الأنبياء والرسل لتربية الناس أربابا، عكفوا على أداء مهمّتهم أحقابا، وسنّوا لنا فيها سننا صالحة وآدابا، إلى أن أكمل الله تعالى رسالته الخالدة بإرسال خاتم الأنبياء والمرسلين وعلّمه علوم الأولين والآخرين وأمدّه بكل المواهب والملكات التي أودعها للأنبياء والمرسلين قبله، فاجتمعت في شخصيته

المثالية الفريدة أمثلُ هذه المواهب والملكات وأكمل هذه المهارات والعبقريات جملة وتفصيلا، فكان بحق أسوةً حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً. وقد أشاع هذا السراج المنير في عالم الفكر والمعرفة فيوضاً وأنواراً، وسقى هذا المنهل في حقول الآداب والثقافات جداولَ وأنهاراً، فكم من عبقري مبدع ومفكرّ مبتكر نشأ في أرضية الإسلام وترعرع في محيطه الفكري، برع في حقل من حقول العلم وبهر الدنيا بعبقريته الفذّة الفائقة وإن هو إلا بريق من لمعات هذه الشمس الساطعة فكلهم من رسول الله مقتبس ومن أسوته ملتمس.

إن عملية التعليم والتربية تحتلّ مجالا واسعا للنشاط الإنساني فهي لا تقبل الحصر في نطاق اختصاصي محدود كما هو دأب المؤسسة الأكاديمية الغربية أنها تفرض حدودا لتضييق دائرة كل مِهنة ومهارة لا تخرج من قيودها إلا بإذن أصحابها المحترفين وأربابها المحتكرين ولكن إذا نظرنا إلى طبيعة هذه الوظيفة، خاصة من منطلق إسلامي، نرى أن من شأن هذه الوظيفة أنها لا تستحكم إلا بالتكامل والتفاعل بين فروع المعرفة المربوطة بشجرة طيبة أصلها ثابت راسخ في جذور الأفكار والأخلاق كما نلاحظ أن دائرة التعليم تتوسّع باستمرار بحكم متطلباتها الداخلية والخارجية وذلك أن هذه الدنيا تتغيّر طوعاً أو كرهاً وتحدياتها تتغير وتتنوع لا تكاد تنقضي، بل كل حقبة من الزمن تُسفر عن تحدٍّ جديد للتعليم وتدعو إلى إعادة النظر وتجديد

الصياغة حتى يكون انتقال القيم إلى الأجيال مؤثرا واستقبال العقل الإنساني له مثمرا.

والتعليم هو أهم وسيلة لبناء شخصية الفرد وللمحافظة على هوية المجتمع ومثله العليا وقيمه الدائمة ولحماية كيان الأمة فهو أمر لا يتوقف حتى في أحوال الطوارئ وخلال المقاتلة كما يحثّ عليه القرآن الكريم في سياق الكلام عن الجهاد والمقاتلة ﴿فَلَوْلاَ نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوْا فِي الدِّيْنِ﴾[1].

والتعليم الإسلامي الحقيقي الذي ينبثق من الرؤية الكونية الإسلامية المشتملة على العناصر الثلاثة: التوحيد والرسالة والخلافة الإنسانية، من شأنه أن يكون أعظم وسيلة لحماية وحدة الأمة وتضامنها لأنه هو الذي يَخلُق العقلية ويُوجد الأرضية الاجتماعية ويكوّن التشكيلة النفسية التي توحّد الأفكار والأعمال والطموحات والآمال لدى أفراد الأمة حتى يفكّروا بتفكير متجانس ويتجاوبوا مع الأحداث الزمنية بأعمال ملاءمة لهذا التفكير. والدأب على التفكير المتقارب والملاءمة في الأعمال والتجارب حينا من الدهر يوقر أحكم بنيان وأقوى ضمان لوحدة الأمة التي لا مفهوم لها سوى اتحاد العقيدة والوحدة الفكرية والوحدة العملية النابعة من رؤية كونية واحدة مستندة إلى المثل العليا الثابتة والقيم الأخلاقية الدائمة. وحينما تتحقق هذه الوحدة الفكرية والعملية يُصبح قادتها وأفرادها علماءها

---

[1]- سورة التوبة آية ١٢٢.

ومفكروها صفا واحدا كأنهم بنيان مرصوص ينظرون إلى أنفسهم وإلى العالم بنظرة واحدة ويتجاوبون مع كل التطورات تجاوبا واحدا ويتفاعلون مع كل التصورات تفاعلا واحدا وهكذا يتحدون فكرا وعملا، سيرة وسنة، سبيلا ومنهجا، غاية ووسيلة.

وقضية التعليم الإسلامي قضية ذات نواح عدة وأبعاد شتى ولا يمكن الإحاطة بكل مالها وما عليها في هذا المناسبة وليس الغرض من هذا التحرير إلا التذكير والتأكيد على خطورة أمر التعليم وضرورة الجد والجهد فيه ولكننا نرى أنه من بين حيثيات القضية كلها وجوانبها جلها من كلياتها وجزئياتها هناك أمران مهمان يقتضيان الاهتمام والعناية في هذه الساعة الراهنة:

أولهما: هو أن ننتبه إلى أن مؤسسة التعليم ومناهجها ومقرراتها وسياساتها وأولوياتها وآلياتها ظلّت تفتقد المضمون الروحي والأخلاقي بمرور الزمن وذلك لأسباب وعوامل عديدة أهمها المؤثرات الأجنبية من خلال السياسات الدخيلة والأفكار الغريبة المستوردة من الحضارة الغربية أو المفروضة من القوى الغالبة والتعرض لنتائج الثورة المعلوماتية الهائلة التي فاجأت مؤسستنا التعليمية التقليدية بموجات فكرية وثقافية مضللة وتشكيلات حضارية منحرفة. فنحن الآن بأمسّ الحاجة إلى التشمير عن ساعد الجد حتى نستنفد طاقاتنا وإمكانياتنا ونستهلك كافة مواهبنا و ملكاتنا وقدراتنا لاستعادة المضمون

الأخلاقي والروحي في مؤسستنا التعليمية بجناحيها الديني والعصري فإن هذا الكلام ينطبق على كليهما. فلو كان الجانب الأخلاقي والروحي للمؤسسة التعليمية الدينية قويا، كما ينبغي وكما كان في ماضينا المجيد وتراثنا التليد، لما تعَرّضت المؤسسة التعليمية الحديثة المعنية بالتعليم العصري لهذه الغربة والانعزال عن كوامن ثقافتنا الصحيحة وخبايا حضارتنا الصافية، فلذلك ينبغي الاهتمام بتوجيه الجهود الإصلاحية للجانبين أو الجناحين من هذه المؤسسة.

وثانيهما: أننا نفقد التركيز على بناء قدرات المتعلم الكامنة الهائلة في ما نتبعه من طرائق التعليم ومناهج التربية وهذا يرجع سببه أيضاً ـإلى حد كبيرـ إلى التقليد الأعمى لبعض مظاهر "التعليم الحديث" وشكلياته. ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي أصحابه وأتباعه أسوة حسنة وقدوة صالحة. فإن الرسول عليه الصلوة والسلام لم يمنحنا الرسالة الأخلاقية السامية وحدها؛ بل إنه أعطانا السبل والطرق لحمل هذه الرسالة إلى العالم ونشرها في الحقول وغرسها في العقول. وقد اتبع الرسول عليه الصلوة والسلام بنفسه هذه السبل وطبّق هذه الطرق لتغيير الفكر والسلوك وتنقية القلوب وتزكية النفوس من خلال تهيئة الأرض الصالحة وبناء الملكات والقدرات الفردية الكامنة، فقد علّمنا الرسول عليه الصلوة والسلام أن الصلاحية الأساسية للتعلم والتنوّر والتذكّر

متوفرة بالقوة في كل فرد من أفراد الجنس البشري وأن وظيفة المعلّم الحقيقية هي إثارة هذه الصلاحية وإنارتها وإخراجها من خبايا النفوس وكوامن العقول فالمعلّم ـ كما شهدت به النظريات التعليمية الحديثة المستندة إلى التجارب العلمية الاستقرائية ـ يشرف على عملية التعلّم ويرشدها ويوجّهها، وهو في ذلك يعتمد على ملكات الفرد ومواهبه كأنه يغرس الشجرة في أرض خصبة تملك في طيّها كل عوامل النمو والازدهار والاستثمار وهو لا يطعّم الأفكار مثل تطعيم الطبيب ولا يركّبها في البنية مثل تركيب المهندس بل إنما هو مثل القابلة تشرف على الولادة التي تتحقق من تلقاء نفسها بدون أي تدخل خارجي بفضل العوامل والعناصر التي أوجدها الله تعالى في داخل الجنين والبيئة المتواجدة في باطن أمه.

وبسبب هذا الإبطال أو الإهمال في العناية بهذه الناحية العملية قد وقعنا في كثير من المشاكل والصعوبات كما ظننا خطأ أن التقدم والازدهار في التعليم لا يتحقق إلا بالعكوف على تجارب الغرب المستوردة وتقليدها تقليدا أعمى فليس نجاح الغرب في هذا المضمار إلا قدرته على معرفة الكوامن الفردية للتعليم والاستطلاع وتمكن المؤسسة التعليمية من إحياء هذه الكوامن وإثارتها بشتى الوسائل والتقنيات فهذه بضاعتنا نحن، بل بضاعتنا خير من بضاعة الغرب المزجاة في هذا المجال. وذلك لأن التربية الغربية الحديثة شبه فارغة عن المضمون الروحي والمقاصد العالية للكون والوجود.

إن الآراء والأفكار الإنسانية حول التصورات والتطبيقات الأساسية للتربية والتعليم قد مرّت بمراحل متطورة عديدة بحسب اختلاف النزعات وتغير التيارات المؤثرة في مختلف الثقافات والحضارات والديانات. فمن قائل يقول أنه:

١- يجب أن تهدف التربية إتاحة الفرص للتنمية والنهضة للأفراد وبيئاتهم باكتشاف أحسن الوسائل المتوفرة في الكون لتحقيق هذه التنمية الشاملة.

٢- وهناك من يقول أن التربية يجب أن تهدف تزويد الأفراد بأعلى درجات الثقافة والمهارة في شتى المجالات طبقا للاستعدادات والميول الموجودة عند الأفراد.

٣- ومن زاعم يزعم أن التعليم عبارة عن نقل المعلومات من المربي الملقي إلى المتربي المتلقي لا غير. فهو يرى العلم سلعة تباع وتشترى في الجامعات التي كثرت في ساحة الزمان كأسوات ومتاجر.

٤- وآخرون يرون أن التربية يجب أن تهدف خدمة مصالح المجتمع والدولة ويجب أن يتم كل شيء في مجال التعليم والثقافة في حدود إطار برنامج قومي موحّد يتحقق الغايات والمقاصد التي يقررها المجتمع وتوافق عليها الدولة ومؤسساتها.

أما النظرية الإسلامية للتعليم التي نستمدها من الوحي ونستنبطها من سنة خاتم الأنبياء والرسل فهي نظرية شاملة متكاملة

تجمع كل العناصر المذكورة مع تركيزها على الوصول إلى أسمى غايات الوجود الإنساني ألا وهو معرفة الله سبحانه وتعالى فهي لا تسعى لمعرفة المخلوقات لذاتها ولكن لأجل الوصول من خلالها إلى معرفة الله سبحانه وتعالى. وقد جاء بيان مقصد الخلق والخليقة في تفسير سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنه لقوله تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إلاَّ لِيَعْبُدُوْنَ ﴾[1]

"أي ليعرفون"، وهذا المعنى طبعا موجود بكل وضوح وتبيان في آيات كثيرة من القرآن توضيحا أو تلويحا كما استفاض هذا التصور في الأحاديث النبوية الشريفة.

مع تأكيدها على تكامل النظرية الإسلامية للتعليم والتربية لا بد من التنبيه على أن العمدة في هذه النظرية هي التركيز على الفرد وذلك لأن الأنبياء والرسل الذين سنّوا سنة التربية المثالية في الإسلام، قد اهتموا بإصلاح الفرد قبل كل شيء. ولم يعتنوا بالمجتمع والدولة إلا من خلال المشروع الإصلاحي المركّز على تزكية الأفراد وتربيتهم لأن الله تعالى جعل التكليف فرديا ولم يجعله اجتماعيا ﴿ فَكُلُّهُمْ آتِيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾[2] ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلإِنْسَانِ إلاَّ مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاء الأَوْفَى﴾ [3].

---

[1]- سورة الذاريات آية ٥٦.

[2]- سورة مريم آية ٩٥.

[3]- سورة مريم الأيات من ٣٩ إلى ٤١.

أما النظريات الوضعية كثيرا ما تميل إلى ربط المشروع التعليمي بالتنمية المادية البحتة المربوطة بالأهداف الاجتماعية والسياسية وفقدوا صلتهم بالفرد وجعلوه مندمجا في ماكينة اجتماعية كبرى يذوب فيها الأفراد وَيُدَسُّ فيها العقول والعبقريات. وطبعا لا مجال لهذه الاستبدادية الاجتماعية في الإسلام لأنها تتعارض صريحا مع مقاصد الإسلام ومع سنن الأنبياء والرسل. فإن أوليات الإسلام مركزة على تربية الأفراد حتى يكونوا شخصيات إنسانية أخلاقية واعية رشيدة ثم من خلال إعمال صلاحيات الأفراد وملكاتهم يتم بناء التركيب الاجتماعي وعمارة التشكيل الحضاري.

فإذا قلنا أن الغرض من التعليم هو إعداد مواطنين جيدين يُستعملون كلبنات في البنية الاجتماعية فهذا كلام لا يقرّه الإسلام وذلك لأن من كان مواطنا جيّدا ليس بالضرورة إنسانا صالحا أما إذا عكسنا التركيب فحينئذ يصحّ أن يقال أن الإنسان الصالح هو بالضرورة مواطن جيّد أيضا لأنه شاعر من تلقاء نفسه بمسؤوليته الثلاثية: أمام الله، أمام النفس وأمام خلق الله.

ثم هذه النظرية المتكاملة للتعليم تشمل كل ما وجد في المشروع التعليمي الإنساني من أنواع وألوان وفروع من المعارف والتجارب الموجّهة إلى تسخير القوى الطبيعية وتنمية الطاقات الفردية وإلى تطوير عبقريات الناس. بل يصحّ أن يقال ويجدر بنا أن ندّعي أن نظرية التعليم الإسلامي هي الكفيلة بإدخال كل الاختصاصات والمهارات

والأفكار والتجارب على تنوّعها في إطار متكامل للمعرفة بحيث يكون كل نوع من العلوم يحتلّ مكانته اللائقة به في خريطة المعرفة الشاملة. وكل نظرية أخرى ما عدا النظرية الإسلامية فارغة عن هذا التصور الشامل والرؤية المتكاملة وذلك لأن هذه النظريات مع قيمتها وأهميتها وبعض نتائجها الإيجابية لم تتمكن من إيجاد رؤية كونية مهيمنة تغطي كافة جوانب الوجود والحقيقة. وأكثر النظريات التعليمية المعاصرة هي انبثقت من الرؤية المشتتة للكون أو من نظرة سطحية للدنيا ومافيها وأصحابها لايعلمون إلا ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون. وما نضجت هذه النظريات التعليمية العلمانية إلا بعد الرفض والخروج على سطان الدين والآلهيات والورائيات فهي بطبيعة الحال تقوم على رؤية ناقصة للوجود والحقيقة. لأن هذا النقصان في الرؤية والعمى في النظر والصمم في السمع والشلل في العقل قد تغلغل كلّه في الكيان الثقافي والشخصية الحضارية للفرد والمجتمع الغربي المعاصر.

أما النظرية الإسلامية فهي قائمة على أساس محكم وبنيان متين للتوحيد بحيث لا يمكن إخراج أي جزء من الحوادث الزمنية أو جانب من الحقائق الوجودية من إطار ثوابت النظرية الإسلامية أو متغيّراتها.

والنظرية الإسلامية أيضاً قائمة على وسطية بين الحال والمستقبل، المثالي والعملي، الدنيا والآخرة، الروح والمادة، الفرد والمجتمع، الدائم والمتحوّل، الكلي والجزئي.

ففي هذا الإطار الشامل المتكامل للعلوم والمعارف والفنون والآداب والحرف والصناعات والمهارات والخبرات يتم تشكيل الخريطة العريضة للتعليم الإسلامي الذي يستند إلى رؤية كونية واضحة مستمدة من معارف الوحي وعلوم النبوة. ويوضع كل جزء من أجزاء التعليم وكل فرع من فروع المعرفة وكل لون من ألوان العبقرية الإنسانية وكل نوع من أنواع التجربة الإنسانية في مكانه اللائق به في هذه الخريطة. وتخدم كل عناصر هذه التربية الشاملة بكافة أجزاءها، مقاصد الدين الإسلامي أو غاياتِ الوجود والحقيقة بشكل أو آخر. وتحتل معارف الوحي قمة هذه التربية أو أساس هذه العمارة. وكل جزء من أجزاء هذه العمارة له دوره المعهود المحدود في إثراء المعلومات وإنارة السبيل للمتعلم والمتربي.

وحينما نقول أن معارف الوحي تحتلّ مكانة القمّة نعني بذلك أنه بالوحي تتعيّن المقاصد الأعلى والغايات القصوى للوجود، وبالوحي تتحدّد السنن الأخلاقية والنواميس الأدبية الدائمة الثابتة لإيجاد الإنسان والبيئة، وهكذا علوم النبوة تمنح التفصيلات النظرية والتشكيلات العملية لمعارف الوحي كما تبيّن بعض الأحكام الإلهية وحِكَمَها. ثم يجب أن لا ننسى أن العقل والوجدان والحواس لكل منها دور واضح في كل مرحلة من مراحل فهمنا وتطبيقنا لمعارف الوحي وعلوم النبوة. كما يوجد لهذه الوسائل والأدوات ذاتها ـ العقل والوجدان والحواس ـ مجال واسع للاكتشاف والاستطلاع والاحتجاج والاستدلال والاستنباط.

بحيث إذا ما تعطّل إعمالها لعوارض، تعطّل التكليف والفرائض، فالتكليف الشرعي مقرون بأداء وظيفة العقل ومتعلقاته. ولذلك خرج الطفل والمريض والمكرَه والمجنون والمسجون من عهدة التكليف في الشريعة الإسلامية.

وكلّما صدر في التاريخ الإنساني من نتائج وثمرات استخدام هذه المواهب والملكات الممنوحة للإنسان في صورة العلوم الإنسانية من نتاج التجارب الإنسانية المشتركة هي كلها قابلة للاختيار بشرط موافقتها لمعايير الوحي والنبوة. فأمامنا محك واضح ومعيار بيّن للقبول والردّ والاختيار والرفض من حصيلة التجربة الإنسانية الثقافية والحضارية.

ولكنه من المؤسف أن نلاحظ أن الوضع القائم في الجامعات الإسلامية لا تمثّل هذه الخريطة الكاملة للمعارف وهذه الخطة المتكاملة للتعليم. فإما نجد المؤسسات التعليمية الإسلامية فارغة عن المضمون المعاصر أو إذا دخل في برنامجها عنصر من العلوم العصرية فهي في مدة من الزمن طغت على علوم المقاصد، والآلات أخذت تحتلّ مكانة الغايات وانتُزعت منها الصدارة والمركزية كما هي الحال تقريبا في جامعتنا وفي الجامعة الإسلامية في بهاولبور. وهما تجربتان رئيسيتان في التعليم العالي الإسلامي في هذا البلد. نعم قد يقول قائل: يوجد عندنا مقرّرات إجبارية نسمّيها المتطلبات الجامعية لجميع الكليات والمعاهد ــ ولكن أين هذا التهميش من هذا التأسيس؟ وأين هذا

التذييل من هذا التأصيل؟ وهل يمكن أن نطمئن إلى هذا الوضع؟ لا يمكن لأحد أن يقبل هذه الخطة إطلاقا إذا كان موافقا لما أسبقنا. انظروا إلى برامج كلية العلوم الاجتماعية، هل تجدون أية صدارة أو مركزية للرؤية الإسلامية ولمعارف الوحي وعلوم النبوة في مقرراتها وبرامجها! هل تجدون أي بحث جادّ عن المتخصصين المهرة المضطلعين الكرام البررة في شتى معارف الوحي وعلوم النبوة إلى جانب إلمامهم بالثقافة المعاصرة واهتمامهم بعلوم السياسة والعلاقات الدولية والتاريخ والاقتصاد؟ وما نعرفه ـ والله أعلم بحقيقة الحال ـ هو أن عنصر العلوم الإسلامية والتكوين الإسلامي العام للمعلّمين والمتعلمين ينخفض يوما بعد يوم في برامج الكليات العصرية كما يتضح من تحديد ساعات الدراسة المخصصة للعلوم الإسلامية والعربية. والاهتمام بإدخال هذا العنصر وتقويته والسعي على ترقيته يضعف بمرور الزمن. ونحن لم نسمع إلى الآن أحدا من أعضاء هيئة التدريس المعنيين بالعلوم العصرية أبدى رغبته طوعاً أو كرهاً في ترسيخ قدمه في الثقافة الإسلامية أو المهارة العربية. أليس من التناقض أن نطلب من طلبة الاقتصاد مثلا أن يضطلعوا في العربية ويطلعّوا على مصادر العلوم الإسلامية ومحتواها وأن يرتفعوا إلى مستواها ولا نطلب ذلك من أولئك الذين وسّد إليهم أمر إعداد أفواج جديدة وأجيال جديرة بالتغيير والإصلاح لهياكل الاقتصاد ونقد فطاحل الفكر الاقتصادي المعاصر؟ فهل هم حاصلون على استثناء من هذا

الاعتناء؟ بقرار من الجامعة أو بفرار من مسئوليتهم المهنية؟ والله المستعان وعليه التكلان وإلى الله المشتكى وإلى ربّنا المنتهى.

وعلى كل حال مازلنا نستبشر بالخير ونحثّ أنفسنا على التفاول أن الاهتمام بقضية التعليم الإسلامي لا تنفك عن عناية الأساتذة والعلماء المسلمين في شتى بقاع المعمورة. كما نشكر قيادة الجامعة الإسلامية العالمية على عقد ندوات عديدة بمناسبة المهرجان الثقافي السنوي لمعالجة هذه القضية وهذه الندوات وأعمالها تناولت قضية التعليم الإسلامي ودور الجامعات الإسلامية في بناء المجتمع من مختلف نواحيها وأبعادها حتى يتسنى لنا تصحيح الأخطاء وتسديد الخطوات لبلوغ هذا المآل ومواصلة السعي الجادّ نحو الأفضل في هذا المجال ونسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق والهداية وحسن المنال في ختام هذا المقال الذي حاول أن يعرض على سادتكم بعض ما خطر بالبال ومالي ولا لكم ولا للمؤسسة التعليمية الإسلامية من دون الله من وال.